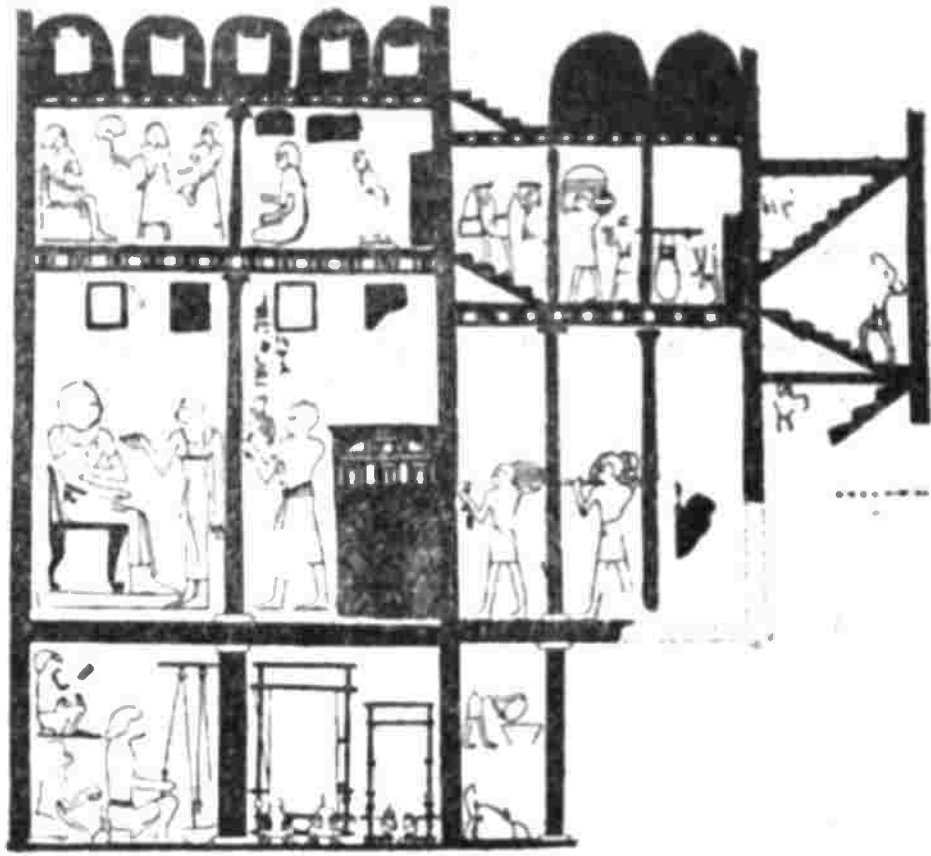


الحياة الاجتماعية

ان عاداتنا فى الوقت الحاضر لا تختلف عن عادات اجدادنا منذ اربعين قرنا ، وانا رغم كل تطور مازلنا محافظين على مجدا القديم ؛ ونستطيع ان نتبين ذلك اذا نظرنا الى ما كانت عليه الحياة فى مدينة طيبة (الاقصر) ، التى كانت عاصمة بلادنا قديما ؛ ويظهر هذا التشابه جليا من نوع المساكن التى عاش فيها المصريون القدماء ، والتى نعيش فيها الآن ، فقد دلت اعمال الحفر على ان المدينة المصرية القديمة كانت تشبه تماما المدينة المصرية الآن ، فنظام المدن كنظام القرى التى نراها بما فيها من الشوارع الضيقة والمنازل المتلاصقة التى تبنى من اللبن وكانت غالبا تطل بالجير الابيض او الملون وكانت تحتوى على طبقة او طبقتين

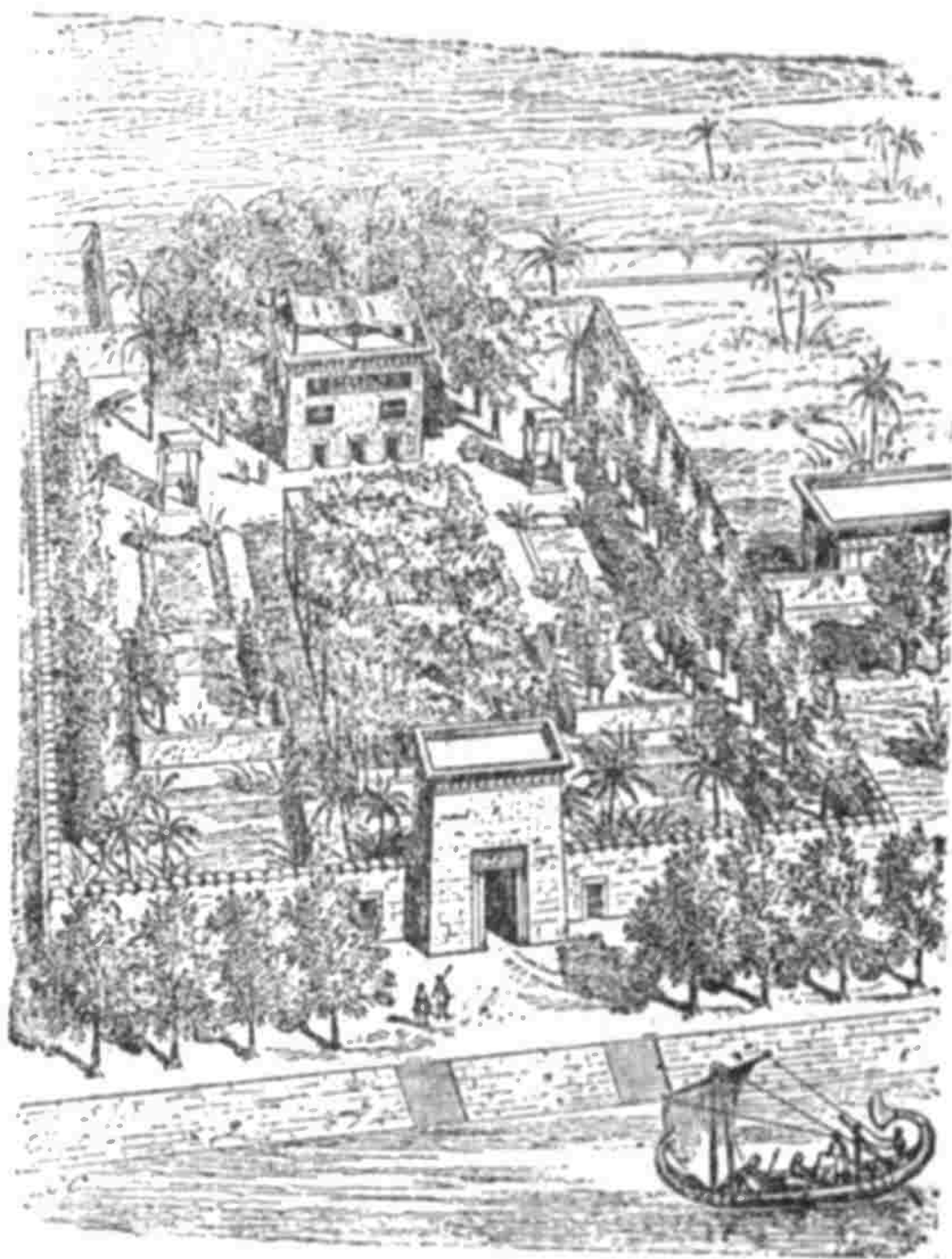
فى مقبرة كاتب يدعى « تحوتى نفر » عاش حوالى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد بمدينة الاقصر القديمة وصف حقيقى لمثله المكون من طبقتين يمكن الوصول اليها بسلم لا يختلف عن سلالنا اليوم



١ - منزل تحوتى تفر (عن بترى)

ففى فناء المنزل كانت توجد عدة غرف للاشغال والطهى ،
والدور الاول كان خاصا بالرجال لمقابلة اصدقائه ، والدور الثانى كان
خاصا بالحریم كالعادة فى اغلب منازلنا الآن ، أما السطح فكانت
توجد فوقه بعض مخازن من الطين لخرن الحبوب ، وأمام هذه
الخرن يكس الوفود اللازم للمنزل من عيدان الذرة المجففة

واقراص من روث الحيوان وهذا هو المشاهدتاما بمنازل الفلاحين وكثير من المنازل في المدن الصغيرة . وكذلك لم تختلف السطوح قديما عنها الآن ، فان النساء كن يجتمعن عليها للحديث ولاستنشاق الهواء بل للقيام باشغالهن من حياكة ونسج حتى الطهي . اما بيوت الأغنياء والنبلاء فلا تختلف عن مساكن الامراء والعظماء والاعيان في هذه الايام، فكانت تبنى منازل منفردة « فيلا » داخل سور عظيم من الطين له باب على الشارع ، فاذا دخلت من هذا الباب وجدت نفسك امام « مصطبة » من الطين يجلس عليها بعض الخدم لمراقبة كل من يدخل الدار أو يخرج منها ، ثم تجدد امام المنزل حديقة كبيرة حيث ينصب فيها عرش اشجار العنب والفاكهة والازهار وفي وسط هذه الحديقة بركة للماء ينمو فيها نبات البردى وتسبح فيها الطيور المائية كما يربى فيها البط وغيره وتعيش الاسماك ، ويوجد قريبا من هذه البركة « كشك » جميل يجلس فيه سيد المنزل منفردا او مع زوجته وأولاده ، للتمتع بذلك المنظر الجميل عندما يعوم البط أو تطير الطيور المائية على النباتات النامية في الحوض أو عندما تخرج



۲ - منزل محیط به الحقائق (عن برستد)

هذه الطيور الى شاطئ البركة لتجفف ريشها في الشمس . ولا
يسعنى هنا الا أن انوه بما كان عليه المصريون القدماء من حب
غريزي للطبيعة ، مما اضطرهم الى تصوير هذه المناظر الطبيعية
الخلابة على جدران منازلهم ومقابرهم

ولم يقتصر المصري القديم على الرياضة بمنزله بل كان أحب
شيء اليه صيد الاسماك والبط والطيور المائية والتمساح وعجل
البحر والصيد في الصحراء ، فكان يخرج للصيد مصحوبا بزوجه
واولاده وخدمه وكانت الزوجة تزين بحايها وتقف جنبا الى جنب
مع زوجها في وسط قارب يخترق بهما المستنقعات التي تنمو فيها
الاعشاب ونبات السبردى حيث تعيش الطيور المائية وهناك
يصيدون الاسماك ويدربون القط على قنص الطيور التي يلقيها
السيد بمضربه (ويمكن مشاهدة مثل هذه المضارب في المتحف
المصري) . وترينا بعض النقوش أن الزوجة كانت
تصحب زوجها في بعض حفلات الصيد الخطرة كصيد عجل البحر،
وأما في أثناء صيد الغزال والنعام والارانب البرية فكان السيد

المصري يصحب خدمه من الرجال إما سائرا أو راكبا عربة
يجرها جوادان ومعه عدد من كلاب الصيد



٢ - نبيل مصري يصيد الطيور واصحابته زوجته

(عن ويلكنسون)

ولنعد الآن مرة ثانية الى المنزل نفسه وهو كما تقدم نحيط
به الحديقة من نواحيه فنجد في جانب منه درجا يصعد الى الطابق الأول

حيث يوجد عدد من الحجرات سقفها منقوشة ومرفوعة على أعمدة مزخرفة من الخشب، والوان الجدران تكون غالبا بيضاء تعلوها نقوش على هيئة أزهار بين كل باقة وأخرى شكل يمثل الطيور المائية. وتقع إحدى هذه الغرف ذات الأعمدة في الجهة



٤ - أعمدة للاستقبال (عن بلا كات)

الشمالية من المنزل لتكون خاصة بالجلوس صيفا، وأخرى بالجهة الشرقية خاصة بالشتاء، وبهاتين الغرفتين عدد من النوافذ الكبيرة، وبينهما عدة غرف تستعمل واحدة منها للاستقبال وأخرى

للأكل . وتوجد عادة منضدة مرتفعة في غرفة الأكل يوضع حولها عدد من الكراسي لسيد المنزل ولمن يليه في المقام ، ويوجد أيضا بجانب احد جدران هذه الغرفة منضدة أخرى على شكل صندوق ، فاذا فتحتها وجدت فيها أدوات غسل الأيدي لانه كان من عاداتهم ان يغسلوا ايديهم قبل الأكل وبعده . وكانت توضع بالغرفة مدفأة كالتى تستعمل الآن في منازلنا شتاء ووقودها غالبا كان من الفحم . وبقية الغرف بالدور الارضى كانت تستعمل للنوم وكل غرفة كان يتصل بها حمام ومكان لغسل الوجه وكانت تتخذ بعض الغرف مخازن بها أدراج (أرفف) مبنية . أما «المطبخ» فكان فى مكان بمنزل . وكان الدور الاعلى خاصا بالسيدات وغرف المنزل كانت تغطى أرضيتها اولا بالحصير ، توضع عليه سجاجيد ملونة وفى بعض الاحيان أبسطة ، ثم الكراسى ومواطئ الاقدام واحسنها كان يصنع من البنوس أو الاخشاب الثمينة وكانت تطعم بالعاج والذهب أو الزجاج الملون ، وكانت قواعد هذه الكراسى تنسج من سعف النخل كما نصنع كراسينا من الخيزران الآن ، ويوضع عليها وسائد من الجلد أو القماش المنسوج

محفوة بريش النعام . وفي المساء كان الناس يستريحون على أرائك ذات قوائم تشبه أرجل الأسد . ومن الأدوات الأخرى صناديق الملابس وعلب حفظ المصوغات وكلها كانت مرصعة بالعاج والأحجار الكريمة والزجاج وغيره

وقد ذكرت فيما سبق ان الطابق العلوى كان خاصا بالحریم الا أنه فى حالة الغنى والثراء كان يخصص للسيدات وخادماتهن مكان منعزل . وقد وجدت بعض النقوش التى تبين لنا هذا النوع من المساكن وفيها كل أنواع التسلية من غناء وموسيقى ورقص وكثيرا ما كانت تنشأ المؤامرات والدسائس من كثرة وجود المحظيات، ففي العهد الامبراطورى الاخير وقعت دسيسة دونت أخبارها فى أوراق البردى ، وقد دبر هذه المؤامرة نساء قصر سام وهو قصر الملك رعمسيس الثالث ، فان احدى زوجاته تأمرت على الايقاع به ، وكان غرضها اجلاس ابنها على العرش ، فدبرت مكيدة بواسطة اعوانها من زوجات رجال الحرس وحاولت تخريض الشعب ضد رعمسيس ، ومع شدة حذرهما شعر المخلصون للملك بأن هناك دسيسة مدبرة

والظاهر أن احد المتآمرين وثى بها وقدم للملك اسماء المحرضين
والقائمين بتنفيذ الجريمة فحُكِّموا واعدم فريق منهم
وفي ذلك العهد من التاريخ المصرى كان سكان مدينة طيبة
(الاقصر) خليطاً من الاجانب والوطنيين كما هو الحال في
القاهرة الآن. وكان الكثير من الوظائف الكبيرة يسند الى الاجانب.
وقد أفسد الترف والنعيم والرفه وورود الاجانب من الممالك التي
حكمتها مصر أخلاق المصريين ذوى المراكز العاليه حتى
تأثر بعض من فى المحاكم والمصالح بالنفوذ الاجنبى وتدهورت
اخلاقهم وظهر ذلك جلياً فى بعض القضاة الذين عينوا لمحاكمة المتهمين
فى المؤامرة السابقة فاتضح ميلهم اليهم وانضم معهم بعض الضباط
المكلفين بالحراسة وانهمكوا جميعاً فى مسراتهم فى حفلة شراب
مع بعض النساء الاجنبيات المتهمات فى المؤامرة. فما ان وصل الى
علم الحكومه خبر هذا التدهور الاخلاقى حتى قبض
عليهم جميعاً وثبتت ادانتهم فصدر الحكم بتقطيع انوفهم وآذانهم
اما من جهة الحياة المنزلية المصرية العادية فى العصر القديم فكان
الزوج يعيش بجانب زوجته عيشة سعيدة خالصة من الشوائب

فترى الزوج بجانب زوجته فى مجموعة التماثيل والنقوش والكتابات
التي تقابلنا فى كل مكان وكانت الزوجة غالبا تطوق زوجها بذراعاها
كما كان الزوج دائما يستصحب زوجته واولاده فى الحفلات والاجتماعات
ويدل ذلك على أن المرأة المصرية لم تكن بمعزل عن الرجل فى الحياة
الاجتماعية ، فى الولائم والاعياد نجدها والرجل جنبها الى جنب

وتظهر العلاقة بين الزوج والزوجة من القصة
الآتية وهى مكتوبة فى الورق البردى ومحفوظة بمتحف ليدن
وهى أن رجلا مرض بعد وفاة زوجته ، فاستشار احد السحرة فى
ذلك فاخبره هذا الساحر بكتابة خطاب الى روح زوجته ، فكتب
لها الخطاب الآتى وذهب به الى مقبرتها فى احدى الحفلات
وقراه بصوت عال ثم ربطه فى تماثيلها حتى يصل اليها

وها هى ترجمة الخطاب :

اى ذنب جنيته نحوك حتى أقع فى حالة الشر التى أنا بها ،
أى ذنب جنيته نحوك حتى تساعد الأرواح ضدى . وماذا فعلت
معك من يوم زواجى بك حتى الآن . عندما تزوجتك كنت رجلا

صغيرا ، ثم علوت من منصب الى آخر ، وما كنت أفكر في هجرتك ، ما فكرت أبدا في ان أجلب الحزن الى قلبك ، فعلت ذلك وأنا صغير . ولما رقيت الى الدرجات العليا في خدمة فرعون لم أهجر كقائلا دعها معك في السراء والضراء ، ولم يكن يقابلني احد الا في حضرتك . ولم أقابل احدا دون رأيك ، قائلًا في نفسي لا تعمل الا حسب رغبتها ، والآن انت لا تسرين قلبي . فاحتج عليك حتى يعرف الناس الحق من الباطل . أما أحضرت لك قواد الجيش وقدموا انفسهم احترامًا لك ، أو لم يحضروا كل ما غنموه اليك . وعندما مرضت أما أحضرت لك كبير الاطباء فيبذل كل شيء في سبيل شفاك . وقد سافرت مع فرعون في الحرب مدة ثمانية أشهر فلم اذق للهناء طعما من أجلك ، ولما عدت وعلمت بوفاتك بكيت كثيرا واحضرت لك الكتان والملابس . انى لا أعلم يوما انى قصرت في شيء نحوك .،

وكما رأينا مقدار حب الزوج لزوجته فان حب الابن لأمه لم يكن بأقل من ذلك كما يتضح لنا من النصيحة الآتية لكتاب يدعى آنى ينصح بها ابنه (خنسو حتب) قال :

”ضاعف الخبز الذي تقدمه الى والدك وعليها كما عالتك من قبل . فقد حملتك في بطنها حملا ثقيلا ولم تساعدك في ذلك الحمل، ولما ولدتك حملتك على رقبتها وأرضعتك ثلاث سنوات، ولما كبرت أرسلتك الى المدرسة لتتعلم الكتابة، وكانت تنتظرك كل يوم بالخبز من منزلها، فاذا ما أصبحت شابا وتزوجت واصبح لك منزل خاص ضع أمام عينيك كيف حملتك أمك وكيف أرضعتك وربتك فلا تغضبها لئلا تدعو عليك فيستجيب الله دعاها فتجلب عليك الشر“

وكما كان الولد يحب أمه، كان كذلك يحب أباه. وقد كانت العادة ان يحل الابن بعد أبيه في مركزه وكان على الولد ان يخلد اسم أبيه، ولا ينقطع هذا الحب بعد وفاتها، وهاك موعظة للكاتب أنى يعظ بها الابن قائلا:

”قدم لأبيك ولأمك اللذين يرقدان في الغرب (اي الجبابة) الماء فان لم تفعل ذلك فسوف لا يقدم لك ابنك الماء.“ وهذا معناه ان يرش الماء فوق القبر استجلابا للرحمة (ولا زالت هذه عادةنا عند الذهاب لزيارة القبور)

ولا صحة للفكرة الخاطئة التي كانت تقول ان المصريين القدماء كانوا يقضون حياتهم في غم وغم وفي التحضير ليوم الدفن ، بل نجب أن نعرف انهم كانوا مرحين محبين للغناء والموسيقى وللقصص الشيقة كما كانوا مولعين بشرب النبيذ والجمعة وكانوا كذلك يهتمون بالرياضة والفنون الجميلة والشعر

وفي أحد النقوش وصف لوليمة أقيمت في إحدى قاعات منزل كبير ترى فيها الرجال والنساء معا جالسين على الكراسي وبينهم الكهنة الذين يعرفون برؤوسهم المخلوطة . وقبل الأكل كان



٥ — حفلة غداء (من مقبرة بطيبة)

يمر عليهم خادم يحمل طستاً وآخر يحمل ابريقاً لغسل ايديهم ثم
يمسح كل منهم يديه في منشفته الخاصة ، وبعد ذلك يطلق البخور
في الغرفة ثم يتعطرون بالروائح والزيوت ويستمر البخور بالغرفة
اثناء الأكل والشرب فاذا ما ارتفعت حرارة المكان سالت العطور
والأدهان وجرت فوق ملابسهم ، وانتشرت في الحجرة رائحة
زكية ، وكانوا يلبسون في مثل هذه الحفلات ملابس من الكتان
الأبيض مخططة بخطوط صفراء ، وكان النساء يزين رؤوسهن
بأوراق أزهار اللوتس ويمسكن هذا النبات بأيديهن .

فاذا كانت الحفلة بعد غروب الشمس أضيئت الغرفة بقناديل
مملوءة بزيت الخروع المزوج بقليل من الملح وقد وضعت على آنية
من الفخار مرتفعة عن الارض ، وكانت هذه المصابيح تعطي نورا
أبيض . ثم تمد موائد محملة باصناف الطعام يجلس حولها الضيوف
وتتقدم الجميع أكبر السيدات سناً فتقطع لحم البط او الأوز او
نخذ العجل ، وكانت توضع أواني النبيذ والجمعة في الغرفة على حوامل
من الخشب حولها كاليل الأزهار . وبعد الانتهاء من الأكل يعزف
الموسيقيون على أعوادهم وتقوم الراقصات برقص لا يختلف عما

نشاهده في هذه الايام ، يذم يرشف المدعوون الخمر في كؤوس
من الذهب أو الفضة . وقد وجدت نقوش معناها أن سيدة في
احدى الولائم قالت لساق الخمر : " اعطني ثمانية عشر كأسا من
النبيذ فاني أود ان أشرب حتى اثل اذ جوفى جاف كالقش "

وفي أثناء الحفلة يقوم العازفون بتوقيع نغمات بالزماره
والآلات الموسيقية الأخرى كل بدوره ويتخلل ذلك رقص
الراقصات وغناء المغنين

وكانت هناك نصائح ضد الافراط في شرب الخمر
مثال ذلك نصيحة للحكيم أنى يحذر ابنه من شرور الخمر وهى :
" لا تفخر بأنك تستطيع ان تشرب ابريقا من النبيذ لأنك تتمم
بكلام غير مفهوم من فمك . فاذا وقعت على الارض وكسر أى
عضو منك لا تجد من يمد اليك يده . حتى ان اصدقاءك فى الشراب
يقفون ويقولون " القوا بهذا السكير بعيدا "

وكان الشبان يميلون للعبث واللهو والمزاح ، لذلك نجد مدرسا
يعيب على أحد تلاميذه قائلا : أخبرونى بأنك تحاول هجر الكتابة

وأنتك تجرى وراء الهزل وتذهب من شارع الى شارع حيث بيت
الحر فالحمر تخيف الناس منك وترسل روحك الى الهلاك . انت
كالمقذاف المنكسور الذي لا فائدة منه . انت منزل بلا خبز“